

## تأثير القدرات الأدبية للمترجم على الوساطة الثقافية.

بوزنير باديس

طالب في الترجمة بجامعة مولود معمري - تيزي وزو

البريد الإلكتروني: badisfreiburg2014@gmail.com

### الملخص:

يعتقد بعض الباحثين الفاعلين في ميدان دراسات الترجمة أنّ اضطلاع المترجم بقدرات عدّة من شأنه أن يمكنه من التعامل مع النصوص على اختلافها فيوفق في نقلها أيما توفيق، ويزداد الرهان حجماً لما يتعلق الأمر بنص أدبيّ محكم، نظن بشأن العمل عليه والإقبال على ترجمته ضرورة توفّر مهارات أدبيّة ربّما لا يحوز عليها إلاّ من احترف صنعة الكتابة في سابق عهده فيكون بذلك بمثابة الأديب المترجم. يركّز بحثنا هذا أساساً على فحص عامل التأثير الذي تمارسه تلك القدرات الأدبية على الوساطة الثقافية للمترجم حين إقباله على التعامل مع النص الأدبيّ، فننتاول بداية القدرات الأدبية على اختلافها ونسعى لعدّها والتحقيق فيها ثمّ ننقل إلى تأثيرها على لعب دور الوسيط الثقافي، الذي هو في الأصل مهمّة كلّ مترجم عند استقبال نصوص الآخر والتعامل معها ونقلها وإعادة كتابتها. وعليه يصير حالنا إلى طرح جملة من التساؤلات تتمحور أساساً حول مدى التأثير الممارس من قبل المترجم على العناصر والشحنات الثقافية والاجتماعية والأخلاقية والإيديولوجية الواردة ضمن النص الأصل أثناء نقلها إلى لغة قارئه، وما نتاجه فيها وما مدى إدراكه لحجمها واستيعابه إياها؟ وما سيكون يا ترى سبيله لنقلها؟ هل المحافظة على المرجعيات الثقافية لنص الانطلاق والمعروف بمفهوم التغريب أم تكيفها مع ثقافة نص الوصول أو ما يسمّى بالتقريب؟ وما محلّ كلّ ذلك من الهوية الثقافية لقارئ النص الهدف؟

**الكلمات المفتاحية:** القدرات الأدبية، الوساطة الثقافية، التقريب، التغريب، الهوية

الثقافية.

## *Effect of Translator's literary competences on cultural mediation.*

### **Abstract:**

Some active researchers in the field of translation studies believe that the translator has many competences that will enable him to successfully deal with texts of different types. The challenge is being increased when it comes to a well written literary text, in this case, literary competences and tools, acquired only by those who are writers themselves, are required. This research is based mainly on examining the effect of these literary competences on the translator's cultural mediation when he is dealing with a literary text. We first address the different literary competences and seek to enumerate and investigate them and then move on to their effect in playing the role of cultural mediator which is the task of every translator when receiving, dealing and rewriting foreign texts. Therefore, we are going to ask a number of questions, mainly about the extent to which the translator influences the cultural, social, moral and ideological elements that are included in the original text while transmitting them to the language of the reader. What will be his way to transfer them? Will he maintain the cultural backgrounds of the starting text, known as the concept of foreignization or will adapt them to the culture of the target text or so-called domestication? And what is the relationship between all of that and the cultural identity of the target text reader?

**Keywords:** Literary competences, cultural mediation, domestication, foreignization, cultural identity.

### **تمهيد**

أشارت اللسانيات العامة في أيّما موضع إلى ما يسمّى بالمصطلح وتناولت بقسط كبير مشكلات نقله وإيجاد مقابله فيما بين اللغات على اختلافها، وقد يحدث في بعض الأحيان، أن تتداخل المفاهيم فيما بينها، فتختلط على الباحث أو الطالب، وذلك إنّما بسبب نقل خاطئ من البداية قد يقع فيه الناقل سهواً ومن غير تحقيق ممّن هم من غير أهل اختصاص اللغة والترجمة، والأمثلة عن ذلك كثيرة متعددة وبخاصّة ما طال منها لغة الضاد. وفي بحثنا هذا وقفنا على واحدة منها، ففي عنوان البحث نفسه إشكال، يتمحور حول المصطلح الأصح للاستعمال أهو مفردة "كفاءة" أم "قدرة"، وقد جرت العادة واستقر الشائع في الاستخدام لدى الأفراد المتحدثين لفظ 'كفاءة' للدلالة على المعارف التي بحوزة

الفرد ومدى استطاعته في القيام بفعل ما بنجاح، ولكننا رأينا غير ذلك، فالمفردة لا تكاد تعني إلاّ "النظير لشيء ما"، فالجرجاني، قد أشار في كتابه "التعريفات" إلى مفهوم 'الكفاءة' على أنها نظير الشيء، وهذا ما يتوافق مع ما ورد بالنص القرآني الصريح حين قال ربّنا عز وجل في محكم تنزيله: "قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد" سورة الصمد. وفي لسان العرب: "القدرة مصدر قولك قدر على الشيء قدرة، أي ملكه"<sup>1</sup>. أمّا تعريف القدرة في اصطلاح المتكلمين فوضعت لها تعريفات عدّة، منها أنّها: "هي المعرفة الحدسية الضمنية للغة وهي الاستطاعة على توليد الجمل وفهمها والتمييز بين صحيح الكلام وسقيمه، أي بين الجمل النحوية واللائحوية، فتشومسكي يسمي الاستطاعة على انتاج الجمل وفهمها في عملية التكلّم بالقدرة اللغوية. كما تطرّق بالمقابل إلى مفهوم آخر يتداخل معه وهو الأداء، معرّفًا إياه على أنّه: "ذلك التجسيد المادي لنظام اللغة في إحداث الكلام، فهو انتقال القدرة من حيّز القوة إلى حيّز الفعل، وهو كل الجمل التي ينجزها المتكلم في سياقات التواصل على اختلافها". ونشير إلى أنّ مفردة 'القدرة' والمستعملة بكثرة في بلدان المغرب العربي، في حين استعمل أهل المشرق بديلا لها مفردة 'كفاءة'، قد نقلت عن الإنجليزية (Competence, also Competency) وتعني في معجم أكسفورد:

"ability to do something successfully or efficiently. The"<sup>2</sup>

بمعنى 'القدرة على القيام بشيء بنجاح أو بفعالية' أمّا لسانيا فتعني:

"A person's subconscious knowledge of the rules governing the formation of speech in their first language. Often contrasted with performance"

ويقصد بذلك "معارف الشخص المخزنة لديه حول القواعد التي تحكم تشكيل الكلام في لغة الفرد الأولى (أي اللّغة الأصل). وغالبا ما يتداخل مفهومها

مع مفهوم الأداء" والذي يعني في المعجم ذاته:

"A task or operation seen in terms of how successfully it is performed".

بمعنى: "المهمة أو العمل الذي ينظر إليه من حيث مدى نجاحه"، ولسانها فالمفردة تعني:

**"An individual's use of a language, i.e. what a speaker actually says, including hesitations, false starts, and errors. Often contrasted with competence"**

أي: "استخدام الفرد للغة ما، أي ما يقوله المتحدث بالفعل، بما في ذلك التردد وما يبتدئ من الكلام من غير صواب وما يرتكب من أخطاء".

قدرات المترجم الأدبية (Translator's Literary Competences):<sup>3</sup>

أنجزت **مارينا ميندث** دراسة مستفيضة حول ما يسمّى بقدرات المترجم، وقد نقل عنها المقال إلى لغة الضاد مصطفى عاشق، أين أشارت دراستها إلى وجود قدرات عدّة وجب على المترجم التميّز بها، وذكرت في مقدمتها **القدرة اللغوية** (Language competence)، وهي تسمية أتى بها نعوم تشومسكي، فعرفتها بأنّها **قدرة متحدثي لغة على فهم النصوص وإنتاجها**. وتتشكل هاته القدرة في الأصل من الدراية بعلم المعاني، والصوارة، وعلم النحو، والمعجم اللغوي للغة من اللغات. وتتساوى- عند هذا المستوى- معرفة لغة ما مع معرفة القواعد التي تحكمها. مع عدم إغفال أهمية المعجم، فهو يعدّ واحدا من قواعد اللغة، إذ يعتبر مُختزلاً للمفاهيم التي تُكوّن البنية المعرفية للمتحدثين. ولقد شدّد اللسانيون أمثال فرانز بواس أوائل القرن الماضي، على إدراك العلاقات المعقّدة بين الفكر والمفاهيم واللغة لكونها تعبيراً عن هذين العنصرين. كما قد طرح غياب التشاكل المعجمي بين اللغات مشكل قابلية ترجمة الفراغات المعجمية.

ويعرفها نعوم تشومسكي بأنّها: "نظام ثابت من المبادئ المولدة" والتي تُمكن كل واحد منا من إنتاج عدد غير متناهي من التعبيرات ذات المعنى في لغته

الأصل، مثلما تمكّنه كذلك من التعرف التلقائي على التعبيرات، باعتبار أنها تنضوي تحت هذه اللغة، حتى وإن كان غير قادر على معرفة السبب، وتقديم تفسير لذلك. إنّ هذه القدرة، حسب تشومسكي، غير قابلة للملاحظة الخارجية، ويكون الشخص خلالها، عاجزا عن ذكر كيفية تمكّن المستعمل من إنتاج وتوليد جمل مفهومة، ولا كيفية تمكّنه من فهم جمل ذات دلالة في لغته. وتتعارض الكفاية بهذا المعنى مع الإنجاز أو الأداء **Performance** والذي يعني "استعمال اللغة كما نلاحظها".

وجاء ديل هاتاواي هيمس، بما أسماه القدرة التواصلية (*Communicational competence*)، داخل التيار الأنجلوساكسوني لإثوغرافية الكلام، ومذ ذلك الحين صارت عديد النماذج المقترحة حتى يومنا هذا، تتفق حول فكرة أنّ القدرة اللغوية، ضرورية إلا أنّها ليست كافية. إذ لا بدّ من المعرفة والمهارة من أجل استعمال اصطلاحات خطابية ولسانية واجتماعية وثقافية وإستراتيجية. وهي تبقى ذات صلاحية داخل إطار المجتمع الذي تولد فيه النصوص.

ومع التّطور الحاصل في اللسانيات بصفة عامة واللسانيات النصّية بصفة خاصة -وأواخر الستينيات تقريبا- تأطّرت اللغة في ظل وظيفتها التواصلية، وفي إطار السياق الاجتماعي. كما انتقلت وحدة التحليل من الجملة إلى النص، لكون هذا الأخير وحدة معنى. وبذلك تصبح القدرة اللغوية غير كافية من أجل فهم النصوص وإنتاجها. وعليه، فقد وجب على مستعمل لغة ما أن يتسلّح بالمعرفة والمهارة حتّى يتسنى له فهم واستخدام الأشكال التي يعكس فيها نص ما الاتّساق من حيث المعنى، والتناسق من حيث الشكل، ويتأقلم ويتواءم مع بنية نصّية ما أو بنية فوقية معينة.

ونذكر كثالث القدرات التي يتحتّم على المترجم أن يتوفّر عليها، القدرة التنظيمية (*Organisational Competence*)، وسماها كذلك ليل بايشمان، وهي متكونة من القدرة النحوية (*Grammatical Competence*) والقدرة النصّية (*Textual Competence*)، للإشارة إلى إتقان البنية الشكلية للغة ما، بينما داخل القدرة التداولية (*Pragmatic Competence*) يمكن تمييز القدرة اللغوية الاجتماعية (*Socio-Linguistic Competence*) والقدرة المقاصدية (*Intentional Competence*). وتعني هاته الأخيرة المقدرة على انتاج نص حسب الغاية التواصلية المرجوة من وراء الخطاب. ويرتبط الجانب البلاغي لنص ما بمفهوم الأجناس، مثلما ذهب إلى ذلك ميخائيل باختين وسواليس وغيرهما، والذي يتحدّد بالمقصد التواصلى الذي يميّزه. وبالإمكان أن تكون الاصطلاحات الخاصة بالأجناس الأدبية مرتبطة بالثقافة، وغير كونية حسب ما ذكره أنا تروسبورغ، وهو ما يتعيّن معه أن تصبح مظاهر الثقافة الخارجية المتعلقة بالقدرة النصّية للمترجمين أساسية. ومن وجهة نظر بانورامية، فإنّ القدرة النصّية -حسب ميشيل شارول- تتطلّب ثلاث مهارات وهي: إنشاء النصوص، تحويلها وتصنيفها. وتستلزم المهارة التحويلية، على سبيل المثال، التبسيط (التلخيص، التركيب، وتلخيص كتاب) وإعادة الصياغة. بينما تشمل المهارة التصنيفية معرفة وترجمة وإصدار أحكام حول النصوص على اختلاف أنواعها.

ويوضّح مصطفى عاشق مشيراً إلى أنّ النصوص ليست ذوات ضائعة في الزمان ولا في المكان، وإنّما هي عمليات تواصلية قائمة من وجهة نظر اجتماعية، وعليه، فإنّه يجب على مستعملي لغة ما النظر بعين مبصرة إلى مدى مواعمة المعنى والمبنى لنصوصهم مع السياق اللغوي الاجتماعى. ويشمل هذا الأخير - بتعبير كنال- وضع المشاركين في العملية التواصلية، وأهداف تفاعلاتهم، وقواعد أو اصطلاحات التفاعل فيما بينهم. ويجب تقييم مدى توافق

وظائف تواصلية معينة، والمواقف، والأفكار، وكذا الشكل الذي نسجت فيه، مع وضعية من الوضعيات. وتكشف لنا عبارة *أحسن بقليل من البارحة* في تقرير طبي لحالة أحد المرضى، عن غياب قدرة لغوية اجتماعية. لذلك قال هاليداي عن اللغة أنها: "سيمبوطيقا اجتماعية"، فهو يقصد بذلك أنها تُفهم "داخل سياق اجتماعي ثقافي. وأن الثقافة نفسها تُفسَّر بواسطة مفاهيم سيميائية".

أضاف بيير بورديو، إلى علم الاجتماع الفرنسي، مفهوم السوق اللغوية حيث يصبح الخطاب منتوجا ذا قيمة، حسب الرأسمال الرمزي أو اللغوي-القدرة *التواصلية* - الذي يملكه المتكلم. وفي المجال التعليمي، يصبح للغتنا ثمن، ألا وهو التصنيف على حد تعبير بورديو. ويجب أن تفهم القدرة التواصلية، باعتبارها هيمنة نظام رمزي ما، على أنها جزء من شبكة الأنظمة الرمزية التي تشكل *القدرة الثقافية أو الموسوعاتية (Encyclopedic and Cultural Competence)*. وقد بيّن إدوارد سابير، أنه يجب على اللغة أن تفهم باعتبارها ظاهرة اجتماعية وثقافية، لأنها تصف وتجسد الطريقة التي يبني بها المتحدثون رؤاهم في العالم المعيش. كانت هاته الفكرة وراء إبراز الوجه الحقيقي لفرضية ساير- وورف، والتي مفادها أننا حينما نفكر، فإننا نفعل ذلك حسب الأنماط والاختلافات المنظمة في اللغة. وباعتبار اللغة نظاما رمزيا، فهي تنظم تصوّراتنا للواقع. وبما أن مفهوم الثقافة متعدّد المعاني، فإننا نقدم تعريف بروناتي ومينديفيل، اللذان يؤكدان على أنه يمكن اعتبار *الثقافة معرفة اجتماعية مكتسبة، أي أنها مجموعة من الممارسات الرمزية، والقواعد، والقيم، التي تميّز الجماعات البشرية وتحدّد فضاءات التفاعل الاجتماعي الخاصة بالمعاني المشتركة بين الذوات*. وكذا تعريف عالم الاجتماع 'بير سيد' الذي قال بأنها "كلّ مركّب يتكون من كل ما يفكر به الإنسان، أو يعمله أم يملكه بصفته عضوا من أعضاء المجتمع".<sup>4</sup>

وتعمل **القدرة الإيديولوجية (IDEOLOGICAL COMPETENCE)**، على تيسير الدخول إلى قراءة نقدية؛ أو بعبارة أخرى، أنها تحدّد الزجاج الذي يمكن أن ترى من خلاله أفكار نص ما. ويعرّف أوسفالدو ألفريدو دايبيرا الإيديولوجية باعتبارها تسمية لأي نظام تفكير ذو طابع فلسفي عملي يوجد في مستوى أعلى من العلوم. وهو يمثل بذلك "الرؤية الكونية" التي يفهم من خلالها العالم، والواقع، والإنسان، والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية. وفيما يخصّ الطريقة التي يعبر عنها في الرسائل، يوضح أنّه "في الرسالة اللفظية لدينا، في المقام الأول، ما يقال صراحة (الجمل) ومنها يتم الانتقال إلى "التمثلات" أو بنيات المفاهيم، إلى أن نصل إلى البنية العميقة أو الإيديولوجيا". لذا أضاف البعض القدرة الإيديولوجية باعتبارها مجموع أنظمة يتاح من خلالها فهم وتقييم العالم المرجعي.

وجدير بالذكر أنّ الثقافة لا يعبر عنها فقط بالإيديولوجيا التي تنقلها النصوص، ظاهريا أو ضمنيا، بل أيضا ببعض من أشكال الخطاب. وعليه فإنّ القدرة النصّية/ الخطابية تشكل جزء لا يتجزأ من القدرة الثقافية. وعندما لا يستعمل المتحدثون استعمالا صحيحا لبعض القدرات المتقدم ذكرها تطفو على السطح بعض الإرهاصات في العمل المترجم. وحتى يتسنى الحيلولة دون تلك النقائص، يعمد القارئ إلى تفعيل تقنيات الموازنة التي تشكل بدورها ما نسميه بـ **القدرة المنهجية (Methodological Competence)**.

#### معيّار القدرة في الترجمة الأدبية:

تناول هنري ميشونيك 'Henri MESCHONNIC' موضوع الترجمة الأدبية بإسهاب كبير، وأشار بوضوح إلى معيار تمكن المترجم الأدبي من ناصية النص المرغوب في ترجمته، بالقول:



" Si on y appliquait le même critère de compétence, qu'on évoque sans toujours le réaliser, il faudrait qu'un traducteur de roman soit romancier, et poète pour des poèmes <sup>5</sup>"

أي بمعنى: "لو أخذنا بمعيار القدرة الذي نذكره دوماً ولا نأخذ به، لا بدّ لمن يترجم الرواية أن يكون روائياً، ولمن يترجم الشعر أن يكون شاعراً"<sup>6</sup>. وامتداداً لهذا الرأي أو التوجه لميشونيك، فقد اخترنا في الجزء التطبيقي من هذا المقال العمل على نص مترجم من الإنجليزية إلى العربية، أنجزه روائي ومترجم له باع طويل في التعامل مع النص الأدبي. ويجدر بالمترجم التمتع بأكثر من قدرة لسانية أو لغوية، فتوحي ترجمته للقارئ بأنّ النص كتب باللغة المترجم إليها أصلاً، لا باللغة المنقول عنها، وهذا في الحقيقة مبتغى كلّ ترجمة، وبالتالي يحقّ لنا أن نقول بأنّه لا يوجد أدب انجليزي أو فرنسي أو اسباني أو أي أدب آخر ينسب إلى اللغة التي كتب بها، بل الأجدر القول بأنّه هناك أدب فقط. ونقول ذلك، طالما هناك دائماً مترجم قادر على تجنّب العجمة والغموض، وتوحيّ الفصاحة والوضوح. وما دام أدباً فلا بدّ عليه أن يقبل النقل والترجمة إلى لغات أخرى غير اللغة الأصل التي كتب بها. ولكن لهذا المفهوم يشترط لنفسه شرطاً أساساً بحيث يتوجّب على العمل المترجم أن يصير بفعل الترجمة عملاً أدبياً. وهذا بالضبط ما انتهى إليه في الحقيقة باحثوا دراسات الترجمة في العقدين الأخيرين.

وأشار أحد المترجمين المتمرسين في كلامه حول صعوبات الترجمة الأدبية بالقول أنّه من الممكن أن يمثّل جنساً أدبياً معيّناً تحدياً أكبر من غيره لدى مترجم ما، ولكنّه ليس بالقدر نفسه من التحديّ لدى مترجم آخر. فالمسألة هنا محكومة إلى حدّ كبير بقدرات المترجم وميولاته الأدبية واللغوية. كما أنّ الأمر قد يصير أصعب في الترجمة، بحيث أنّ النصّ الأصل موجود هناك، ويمكن للقارئ أن يطلع عليه ويقارنه بنص الترجمة وهذا يجعل من هذا الأخير عرضة لمزيد

من التمهيص بالمقارنة مع غيره من الأعمال الإبداعية الأخرى. كما ذهب غيره إلى أنّ مترجم العمل الإبداعي الأدبي ليس حاله كحال أي مترجم آخر، فإلى جانب إلمامه باللغتين الهدف، والمصدر، ومهارته اللغوية والإبداعية، يجب أن تكون لديه القدرة على التخيل، ومحاولة تقمص أحاسيس الأديب الذي يترجم له، إلى جانب حساسيته اللغوية العالية التي تجعله متذوقاً للجماليات وشاعرية عمل ما، ومتدبراً في المعاني ملماً بثقافة الأنا وثقافة الآخر.

### الاستعلاء العرقي ونقيضى التغريب والتقريب:

ربما ظنّ البعض أن فعل تصنيف التّنوعات اللغوية (فيما بين الانجليزية البريطانية والأمريكية مثلاً)، هو عملية اسقاط لمفهوم الاستعلاء العرقي الذي تحاول اللسانيات المعاصرة تجاوزه. **أما في الترجمة**، فيوضح الجدال القائم ما بين مفهوم التغريب والذي يعني الحفاظ على المرجعيات الثقافية للنص الأصل، والتقريب أو التوطين الذي هو تكييف المرجعيات الثقافية مع ثقافة الهدف أو بمعنى آخر التقليل من الغرابة في نص الانطلاق لصالح قارئ النص الوصول، أهمية القدرة الثقافية التي يتوجب على المترجم حيازتها. ويؤكد روبير ألان بوغران، قائلاً: "...يجب على المترجم ألا يكون ثنائي اللغة فقط، بل يجب عليه أيضاً أن يكون كلياً ثنائي الثقافة".<sup>7</sup> وفي الإطار نفسه، يؤكد جيني بروم قائلاً إنه "يجب ألا نفهم من كلمة "مترجم" أنه همزة وصل بين لغتين، بل متخصصاً بيثقافياً أو متعدد الثقافات، يجب عليه أن يعيد، في وضع محدد، من أجل الثقافة الهدف، إنتاج نص مشبع بثقافة الأصل".<sup>8</sup>

وأشار **يوجين نيدا**-رائد الدراسة اللسانية الاجتماعية والمدافع عن **التقريب**-إلى أنّ الترجمة تتجاوز ما هو لغوي محض. فيما يعرّف **لورنس فينوتي** الترجمة بأنها: "ممارسة سياسية ثقافية تبنى أو تنتقد هويات متميزة إيديولوجياً لصالح ثقافات أجنبية، وتتخطى قيماً خطابية وحدوداً مؤسسية في

**ثقافة لغة الهدف أو تلتزم بها**"<sup>9</sup> ويؤكد فينوتي، **المدافع عن التغريب**، أنّ الترجمة **"مكان اختلاف"** ويضيف أن التقريب، المهيمن على التراث الإنجليزي الأمريكي، يمارس "عفا استعلائيا" على النص المصدر، ويخفي في إطار التكافؤ الدلالي ما يشكل في الواقع اختلافا يجب أن تحتفظ به الترجمة. وهذا العنف الاستعلائي إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على ممارسة **الهيمنة والإقصاء الثقافي** " عندما يصبح مسخراً لخدمة الهيمنة الثقافية الأنجلو أمريكية.

لقد ربطت الماركسية الثقافة ليس فقط بمفهوم أنطونيو غرامسي للهيمنة بل أيضا بمفهوم الأيديولوجية، التي تعني تجسيدا مشتتا للواقع والذي أصبح مسخراً لخدمة الثقافات المهيمنة. وتوضّح **النسبوية الثقافية**، باعتبارها نقيض **الاستعلاء العرقي**، **إعتباطية كل ثقافة**. وللتعبير عن ذلك بلغة العصر، فكل شيء حسب الزجاج الذي يرى من خلاله. وهذا الزجاج قد يكون هو الثقافة والإيديولوجيات التي تشكل هذه الثقافة.<sup>10</sup>

#### القسم الثاني: الوساطة الثقافية:

يكشف لنا الاستخدام غير المتمايز لمفهوم الوساطة- في يومنا هذا- أحد أعراض مجتمعاتنا التي تخشى الاعتراف بالصراعات، وتسعى إلى إيجاد مساحات للحوار والتوافق في الآراء، وتطمح إلى تجديد النسيج الاجتماعي الذي مرّفته التنمية غير المتحكّم فيها ومنطق السوق. صارت الفكرة الفلسفية للوساطة- التي تميّز في العادة العلاقة ما بين الموضوع/ الفرد والعالم- "مفهوماً تسويقياً" من شأنه أن يعرّز من وجود ضرب من عبارات "العابر، الهارب، المريب"، لكنّه يهدّد على الضفة الأخرى بنسيان ما يشكّل طبيعة الرابطة الاجتماعية فيحيلنا بالضرورة إلى بعض من معاني التعالي والتشكّل الرمزي. وسواء شئنا ذلك أم أبنائه، فهو مفهوم الساعة، أو ربّما اعتبرناه مألوفاً، ومع ذلك فإنّ الوساطة تثير دائماً مسألة العلاقات بين أعضاء الجماعة والعالم الذي يسعون إلى بناءه.

يعني مصطلح الوساطة "Médiation" حسب معجم Linternaute الفرنسي<sup>11</sup>:

" Entremise qui a pour but de faciliter un accord "

أي: "هي تدخل بهدف تسهيل اتفاق ما".

ويعرفها معجم Oxford الانجليزي كالتالي:

" Intervention in a dispute in order to resolve it; arbitration. "

ومعناه "التدخل في نزاع ما من أجل إيجاد حلّ له، أو هو القضاء في أمر ما".

تصف الوساطة الثقافية المهنة التي تدرس الاختلافات الثقافية بين الناس، ذلك باستخدام البيانات في حل المشكلات. إنها واحدة من الميكانيزمات الأساسية للتنمية البشرية المميّزة وفقاً للنظرية النفسية والثقافية التاريخية التي أدخلها ليف فيجوتسكي والتي تطورت في عمل أتباعه العديدين في جميع أنحاء العالم. قام فيجوتسكي بالتحقيق في تنمية الطفل وكيف كان ذلك يسترشد بدور الثقافة والتواصل بين الأشخاص. ولاحظ فيجوتسكي مدى تطور الوظائف العقلية من خلال التفاعلات الاجتماعية مع أشخاص مهمّين في حياة الطفل، وعلى رأسهم الآباء والأمهات، وكذلك الأشخاص البالغين الآخرين. من خلال هذه التفاعلات، يُقدم الطفل على تعلم عادات ثقافته، بما في ذلك أنماط الكلام، واللغة المكتوبة، والمعرفة الرمزية الأخرى التي يستمد منها الطفل المعنى وتؤثر في بناء معارفه. هذه الفرضية الرئيسية لعلم النفس لدى فيجوتسكي، يشار إليها في كثير من الأحيان، باسم "الوساطة الثقافية-Cultural Mediation". وتمثل المعرفة المحددة التي اكتسبها الطفل من خلال هذه التفاعلات أيضاً المعرفة المشتركة للثقافة. وتعرف هذه العملية باسم الاستيعاب الداخلي "Internalization".

كما نعدُّ الوساطة الثقافية عملية بناء للجسور فيما بين المجالات الثقافية والاجتماعية، وبناء علاقات جديدة بين المجالات السياسية والثقافية والعامّة. وهي تغطّي طيف واسع من الممارسات التي تتراوح ما بين أنشطة تطوير الجمهور والفنون التشاركية والمجتمعية. هدفها النهائي هو جعل كل شخص متطلّع للآخر لا عباً ثقافياً حقيقياً.

إذا كان هذا المفهوم يمكن أن ينيّر ويوجّه الممارسات الاجتماعية، الذي يُطالب به في العديد من المجالات، فإنّه لا يزال من الضروري تحديد بُعده الخاص قبل أن ينتشر كقيمة تعمل كقطع أو ذريعة في موقف وسط ما بين نيّة الفعل وتحقيقه، وعلى الهامش فيما بين البداية والإتمام، وفي خضم التوتر القبلي والبعدي، وفي الفراغ من الأشياء التي لم تتم بعد، وفي الفجوة ما بين الذات والعالم ... يتم إدراج الفعل البشري والتاريخي.<sup>12</sup>

كل هذه المواضيع تترايط في مشكلة الوساطة وتشكيلها. تبدأ الوساطة الثقافية بعلاقة الأنا مع الآخر من خلال "كلمة" يشتركان فيها، لأنها تصير أمراً ذو حساسية في عالم من المراجع المشتركة. لم يعد المعنى محمولاً كلفظ براغماتي تم إعداده خارج التجربة المشتركة، ولكن كنتيجة للعلاقة البينية المشتركة، أي العلاقة التي تتجلى في المواجهة والتبادل بين الذات.

#### بين التعددية الثقافية والمثاقفة:<sup>13</sup>

تطرّق حسن ناظم إلى مفهوم التعددية الثقافية والمثاقفة وكيفية تحوّل التهديد إلى مثاقفة وتحوّل الاختلافات إلى خلاقات فيما بين الأمم وتحوّل الخلاقات إلى أفعال تتسم بالعنف الناجم عن الفهم المضطرب للآخر. وكل تلك هي عناصر ذات أهمية بالغة في هذا الشق من البحث، قبل الوصول إلى عملية الوساطة الثقافية.

لا يستطيع أحد الزعم بأنّ التعدّدية الثقافية باتت من القضايا المعترف بها في عالمنا، إذ مازالت الثقافات في طور التعرّف على بعضها البعض حيناً واستغراب وإنكار بعضها البعض حيناً آخر. إنّ الترجمة غائبة عن النشاط الذي يتوخّى دعم التعدّدية الثقافية ولا يحتاج الأمر كبير فطنة ليتساءل المرء قائلاً: أليست الترجمة عامل أساس في دعم التعدّدية الثقافية؟ ويعلم الجميع أنّ الأدب نشاط يحتضن ثقافات الأمم والشعوب وأنّ بعض النصوص الأدبية لا تنتمي إلى شعب واحد أو ثقافة واحدة بل تنتمي إلى شعوب وثقافات متعدّدة. وهي اختبار حقيقي لتحقيق التعدّدية الثقافية، فتكون بذلك عامل تماسك ولكنها قد تكون عامل تقويض في الآن نفسه، تبعاً لموقف اللّغة والثقافة اللتان هما بصدد استقبال العمل المترجم. والمناقفة تعني إمكانية النقاء الثقافات المتغايرة عبر الترجمة. ولم يعد هناك شيء غير قابل للترجمة، ولكننا نجد من ينظر إلى هذا الفعل بعين الريبة دائماً، فكما يقول والت ويتمون: "I am untranslator" بمعنى 'أني غير قابل للترجمة' وجاء بعده المترجم والباحث في حقل الترجمة عبد الفتاح كيليطو ليتكلم كذلك عن المفهوم نفسه معبراً عنه بالقول: "لن تتكلّم لغتي" وهو كتاب يحوي مفاهيم ووجهات نظر ذات قيمة ووزن في ميدان دراسات الترجمة، ويقصدان بذلك إن تقاربت وجهتي نظرها على حدّ ما أمكننا الإطّلاع عليه، بأننا مهما اطلّعنا على ثقافة الآخر ومهما زاد تفتحنا عليه، فإنّ همسات من الريبة والشك والخوف لا يمكنها أن تقارنا.

ومن الأهمية بمكان أن نخوض - بمناسبة كلامنا عن المفاهيم السابقة- في مفهوم الهوية الشخصية، خاصّة وأنّ المتمعّن في تعريف الذات الغربية أو الذات الأخرى وتعريف الذات العربية يجد له اختلاف جذري، فالمفهوم الغربي للهوية الشخصية مستمد من فكرة أنّ الشخص متميّز من الإنسان بالمعنى العام، فالمبنى القريب إلى الهوية الشخصية هو مصطلح الذات والتي هي عبارة عن

كيان واع ومفكر ومتأمل ومستقل، إنّه كيان فردي متميز من الآخر ولكنّه يشاركه الميزات العامة، وهذا المفهوم له جذوره في الفلسفة والأدب الغربيين وفي جذور الثقافة لدى الإغريق. إنّ مصطلح الذات والشخص مترادفين تقريبا عند الفيلسوف 'جون لوك'، وقد أشار إلى ذلك ضمن كتابه الموسوم بـ "رسالة في الفهم البشري". ومفهوم الهوية الغربية يحوي تصورا ايجابيا وهو بذلك يخالف مفهوم الهوية في الثقافة الشرقية، والمقارنة بين المفهومين في حدّ ذاته، معضلة لا في الترجمة فحسب بل في نقل طبيعة المفهوم في الثقافة المستقبلية. وتهيمن على ثقافتنا ومجتمعاتنا فلسفة سياسية تشدّد تقليديا على الجماعة وتعدّ الذات مفردة مرادفة لا للهوية الشخصية بل للأنا، فالذات مصطلح يحمل تضمينات سلبية لا في مجتمعاتنا العربية فقط والتي تتفاوت فيها حظوظها من التقدم والتحضّر بل حتّى في الثقافات الشرقية الأخرى مثل الثقافة الصينية التي تقتنن فيها الذات بخصائص سلبية. وإذا كانت المجتمعات العربية تقع تحت تراث ضخم من تغليب الجماعة على الفرد دينيا في المذاهب الأربعة واجتماعيا في تعاطم الاحساس بالحزبية والقبلية فإنّ الثقافة الصينية تقع تحت تراث ضخم للكونفوشيسية وللماركسية وكلاهما يقضي بخضوع الذات إلى الجماعة فيكون الفرد فيها مستعدا للتضحية من أجل خير الجماعة الأكبر. والغريب أنّ الهوية العربية ضاربة في التاريخ ولها أصولها الممتدّة عبر الأزمنة الطويلة، فلماذا الخوف يا ترى من هاجس الهوية وتأثير الآخر، فالمألوف أن تجري الألسن حول الهوية في المجتمعات جديدة النشأة فهاته الأخيرة هي من تسعى إلى تعريف هويتها الثقافية وتؤسّس لقيام مجتمعها، آخذة لنفسها مثلا يحتدى به من مجتمعات متأصّلة فيها قضية الهوية. فإن حصل تهديد ثقافي وهوياتي لثقافة عريقة وضاربة في التاريخ لأمكننا تحويل ذلك التهديد إلى مناقفة أي إلى مشاركة في الانتاج الثقافي بدلا

من أن تكون مستقبلية سلبية أو بعبارة أخرى أن تجعل كل ما هو سلبي إيجابي أي جعل التهديد من قبيل المثاقفة.

وتتطرق سوزان باسنت<sup>14</sup> في سياق مشابه إلى مفهوم "التواطؤ مع النص"، وهي تقصد بذلك ضربا من المسايرة والاتفاق ولكّنها لم ترسم لذلك حدودا واضحة، غير أنّها مثلت له بدرجة التواطؤ ما بين شريكي الحياة، وهو تواطؤ يجعل من أعرس الأمور على المعالجين النفسانيين أن يفصلوا فيها بوضوح بين 'الصواب' و'الخطأ' بصورة مطلقة. وتضيف في إشارة أخرى إلى أنّ كل فرد منّا يتواطأ مع بعض الأشياء بطرائق مختلفة. ومن المحتمل أنّه ليس من بيننا من يحيا حياة تتسم باختيارات أخلاقية واضحة وشفافة في كلّ يوم من دون أن تنشأ فيها إشكالات متنوعة. وبناء على هذا فإنّه يوجد ما يسمّى تواطؤا من القراء والكتّاب.

ويشير ليفيفر<sup>15</sup> في كلامه عن توجهات نظرية تعدد النظم وما قاله إيفن زوهار، أنّه لا بدّ من طرح أسئلة معيّنة عن العلاقات المتداخلة بين الأعمال المترجمة والنظام المستهدف، وعن سبب اختيار نصوص بعينها للترجمة في أوقات معيّنة وتجاهل غيرها، ثم عن كيفية اتخاذ الترجمات معايير وطرائق عمل محدّدة، إذ يحقّ لنا أن نتساءل مثلا عن سبب استيعاب النظام الإنجليزي لرباعيات عمر الخيام التي ترجمها فيتز جيرالد استيعابا كاملا حتّى لم تعد تعتبر ترجمة، في حين أنّ ترجمات القرن التاسع عشر الأخرى لنصوص مماثلة قد اختفت ولم يعد لها أدنى أثر. والواضح أنّ الحجّة الجمالية القديمة لا تصلح لتفسير ذلك، بل لا بدّ أنّ عوامل أخرى قد تدخّلت وفحص هذه العوامل هو الذي يجب أن يشغل بال الباحث في دراسات الترجمة.

ولمتفحص للعمل الذي بين أيدينا أن تبادره فكرة أن اهتمامات مترجمنا بالعلاقة بين النص المصدر والنص المستهدف قد اتّسع نطاقها لتشمل العلاقة



بين القوى المستدمرة والأطراف الخاضعة للاستعمار. وربما يتاح ذلك لكل قارئ يعرف بعضا من خلفيات مترجم رواية الصخب والعنف لصاحبها ويليام فولكنر وأوجه التشابه فيما بين توجهات كاتب النص الأصل وناقل العمل إلى لغة الضاد. ويتضح لنا ذلك من خلال سعي الكاتب إلى اتخاذ موقع المدافع عن أعراف وتقاليد الجنوب الأمريكي ولجوئه للنزعة القومية واستعارته وتوظيفه لبعض المظاهر الغربية عن مجتمعه والدخيلة عنه باعتبار ذلك تأكيدا ورجوعا لهويته الثقافية. عاذاً ذلك موقفا راسخا اتجاه ثقافة الشمال الأمريكي وبالتالي اتجاه ثقافة القوة المهيمنة آنذاك، رافضا جانبها السلبي.

ويعتقد رايموند ويليامز أنه من المحال إدراك مفهوم الثقافة المعقدة إدراكا كلياً، وقد كُتِبَ عليها أن تظلّ دائماً مفتتة، فبعضها مجهول وبعضها غير محقق، وهو يرى مثل هوجارت، أنّ الثقافة متعدّدة الأصوات وفي حالة حركة، فهي كتلة من العلامات التي تنتقل من مكان إلى مكان آخر، وليست مكانا مفردا. وكما قال ستيوارت هول، يكمن معنى الهوية في تحديد 'ماهية' كل فرد في ضوء ما يختلف عن هذه الماهية: " فكونك إنجليزية يعني أن تعرف نفسك قياسا بالفرنسيين، وبأبناء البحر المتوسط ذوي الدم الحار، والنفس الروسية ذات العاطفة المشبوبة، والمجروحة، أي أنّك تطوف بالكرة الأرضية كلّها، فإذا عرفت ماهية كل فرد آخر، عرفت أنّ ماهيتك تمثل ما تختلف فيه عن هؤلاء".<sup>16</sup>

### 3- الجانب التطبيقي:

لعلّ من خصائص الأدب الأمريكي المميّزة أنّه يمجّد المثل العليا، وصفات الاعتماد على النفس والاستقلالية، واحترام الإنسان، والتأكيد على الديمقراطية، وحب الطبيعة والخروج عن التقاليد الأدبية من أجل كل إبداع جديد. وتتنمي رواية "The Sound and The Fury" للكاتب ويليام فولكنر والتي ترجمها إلى العربية جبرا إبراهيم جبرا بـ "الصخب والعنف"، وهو روائي وشاعر

ورسام و مترجم فلسطيني، ولقد ترجم بعضا من أعمال شكسبير وقد لاقت ترجماته تلك نجاحات كثيرة، كما يعد من أكثر المهتمين بأعمال ويليام فولكنر، وقد تأثر بالرواية التي بين أيدينا تأثرا كبيرا وربما ذلك ما جعله يُقدم على ترجمتها، وهي عمل مستعصي عسير الفهم، ذو بعد عميق، محدود الجغرافيا وغير محدّد الزمن، يثور على الذات البشرية ويفضحها وينتقدها ويبحث عن الفضيلة وربما ظنّ البعض ممن تناول الرواية بقراءة بسيطة أنّ الكاتب يروج لأفكار تمتلئ بالخطيئة والشذوذ الجنسي وزنا المحارم وتحارب شرف العائلة المحافظة، وهذا نفسه ما ذهب إليه بعض النقاد في بدايات قراءاتهم للرواية ولكنّ الأمر تغيّر بعد حصول الكاتب على جائزة نوبل للآداب عام 1949، عن روايته هاته، وقد استنبط الجميع ما تزخر به الرواية من بعد وعمق للأفكار ليتبيّن لهم أنّ الأمر عكس ذلك تماما، فقد ثار ويليام فولكنر على كل مظاهر الطمع والجشع وما هو آت من شمال أمريكا الذي يعتبره مدعاة لكل الشرّ الذي حلّ بالجنوب وهو ما جعل الفرد الجنوبي ذو المبادئ والخصال الحميدة يتحطم تدريجيًا من جراء تأثره بالأغنياء الذين يعيشون حوله.

عرفت الأدبية كترود شتاين الحركة الأدبية الجديدة التي تنتمي إليها الرواية التي بين أيدينا حين قالت لإرنست همنغواي واصفة إياه وكذا معاصريه من الكتاب على شاكلة ويليام فولكنر بقولها "إنكم جميعًا جيل ضائع"، وكانت شتاين تعني بذلك العديد من أدباء أمريكا من الشباب الفلق الذي تجمع في باريس بعد الحرب العالمية الأولى بحثًا عن عقيدة يؤمنون بها، ويمكن اعتبار وليم فولكنر أشهر روائي الحقبة التي عاش فيها. وتجري أحداث معظم قصصه في جنوب الولايات المتحدة في حيّز جغرافي أسماه (يوكنباتاوا). استخدم فولكنر في روايته "الصخب والعنف" التي نشرها عام 1929م، تقنية تيار

الوعي وكان يصف بالتفصيل تدفق الأفكار في عقول شخصياته. يبدو أن قصص فولكنر غير المألوفة، وأسلوبه المعقد لفتت نظر القراء إليها<sup>17</sup>.

ولعلّ من بين ميزات رواية "The Sound and The Fury" لصاحبها ويليام فولكنر، ديمقراطيتها بمعنى تعدّد الأصوات فيها (الشخصيات الأربع)، جغرافيتها المحدودة وزمنها غير المتسلسل وغير المترابط، ثم استعمالها لتقنية تيار الوعي والرمزية والخيال الواسع، وقوة لغتها وبعدها الدلالي. وقد انقسم النقاد في بداية صدور الرواية إلى قسمين، أولهما قبل نيل كاتبها لجائزة نوبل للآداب عام 1949 أين اعتبرها هؤلاء رواية تروّج لفكرة العنف والجنس وزنا المحارم، ولكنّ هذا الحكم سرعان ما تغيّر بعد حصول الكاتب على الجائزة المذكورة، فصار النقاد ينظرون إليها بعين البصيرة وأحسن جلّهم قراءتها وتعمّق فيها ووقف عند خيالها ورمزيتها، فتبيّن لهم أنّها رواية تفضح عورات المجتمع الجنوبي بعد سيطرة الشمال عليه، واندثار القيم والمبادئ التي طالما ميّزت ذلك الجنوب، فكان بذلك يبحث من خلال روايته على التصالح والحنين إلى الماضي والبحث عن الفضيلة.

تتميّز رواية "الصخب والعنف" لويليام فولكنر من حيث المضمون مقارنة بما يتوقّعه القارئ العربي عامّة والمسلم خاصّة بثورتها على كل ما يأتي من الشمال وبخاصة شمال أمريكا، فقد أسقط ذلك على حيثيات الرواية بإظهار خصال غير مرحّب بها لدى الفرد الجنوبي، إذ نجد فيها عقوقا وتحديًا لسلطة الأم من قبل ابنها واحتياله عليها وكذلك السرقة والتزوير وتحديّ ابنة الأخت لخالها وتقليلها من احترامه وهروبها من المدرسة وتسكّعها مع الفتيان الراغبين في جسدها ونجد كذلك شرب الخمر والبغاء والانتحار وهي كلّها من المحرّمات والطابوهات التي لم يعهدها الجنوب الأمريكي، وهاته المظاهر وإن لم تخلو المجتمعات العربية الإسلامية منها، فإنّ الحديث عنها وإظهارها للعلن بتلك الصورة والحذّة ليعدّ من الممنوعات. كلّ هذا يطرح مشاكل كثيرة عند الترجمة

وبعدها، أي حال تلقّيها من القارئ الهدف، علماً أنّ النص المترجم موجّه أساساً لجمهور عربي السواد الأعظم منه ذو ثقافة مرجعها الدين الإسلامي وهي بذلك تتعارض مع تلك المظاهر وربّما لا يُسمح حتى بالحديث فيها. فكيف تعامل يا ترى إبراهيم جبرا السرياني الأورثووكسي المنشأ والأصل مع هاته الخصوصيّات الثقافية؟ هل نقلها كما وردت في نصّها الأصل؟ وهل اعتمد الحرفية من باب الأمانة لنص الإنطلاق الذي لا يحقّ له التصرّف فيه كما يشاء، وكيف تعامل مع ثقافة المتلقّي الذي قد يُصدم ويُخدش حيائه حيال ذلك؟ أم أنّه سيكتفه مع الثقافة المستقبلية حتى يحصل القبول من أجل جذب أكبر عدد من القراء؟ نقول كل هذا في ظل ذلك التشابه في المنشأ والمعاناة التي عاناها كل من كاتب النص الأصل ومترجمه، إذ كلّ منهما كان همّه الدفاع عن المبادئ والأخلاق السامية فويليام كتب عن الجنوب الأمريكي وويلات الحرب الأهلية وطمس الشمال لقيم الجنوب وبالمقابل نجد أنّ إبراهيم جبرا قد عانى طوال حياته من اغتصاب بنو صهيون للأراضي الفلسطينية ومن نكبة عام 1948 وهجرته إلى العراق.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ أسلوب ويليام فولكنر، تتمتع جملة بطولها مرّة وقصرها الواضح مرّة أخرى، وعليه فإنّ فولكنر له قدرة كبيرة على تطويع اللغة الإنجليزية وقد شهد له بذلك عديد النقاد، وبالتالي فإنّ الرواية تحوي تلاعباً لغوياً ورشاقة أدبية وخيال واسع لا يضاهيه خيال، كما كان فولكنر قارئاً نهم، وقد اعترف جبرا بصعوبة كتابة الرواية وعسر فهمها إلّا بعد قراءات عديدة، كما أشار إلى مشكلة واضحة في الفصل الأول من الرواية التي يروي أحداثها بنجي المعنوه، فلا يمكن للقارئ أن يتصوّر البتة ما سيقوله بنجي في الحين وما سيذكره لاحقاً. واعتبر النقاد أنّ أعمال ويليام فولكنر أصعب بكثير من كتابات جيمس جويس. وأمام كلّ هذا، فترجمة عملاً من هذا القبيل لاشكّ وأتّه يتطلب ممّن يُقبل على ترجمته صبراً وجلداً لا ينكره أحد، ناهيك عن تلك المميّزات التي ضمنها

صاحب الرواية في روايته، فهل سيُوقَّعُ يا ترى مترجمنا في الإحاطة بهذا العمل ونقله للقارئ العربي، نقلا يضاهي في جماليته وشعريته النص الأصل أم أنه سيجانب الصواب في أيّما موضع ويغفل جانبا آخر في مواضع أخرى؟ كل هذا سنجيب عنه بعد تحليل بعض الأمثلة عن العناصر الثقافية والاستراتيجية المتبّعة في ترجمتها.

1. ورد بالفصل الرابع المثل التالي: "One a bitch always a bitch, what .....". فنقلها مترجمنا إلى لغة الضاد بـ "عاهرة يوما، عاهرة كل يوم، هذا ما أقوله أنا". وظّف ويليام فولكنر لفظة "Bitch" للدلالة على العلاقة الجنسية غير الشرعية التي تربط الشابة كادي بعدة رجال أجنب خارج إطار الزواج وتعني بالإنجليزية حسب قاموس Collins: "A lewd or promiscuous woman" أي أنها "مرأة تمارس الفسق والفجور" وهو أمر محرّم في الثقافة العربية الإسلامية وحتى لدى المسيحي الملتزم، وقد ترجمت بكلمة "عاهرة" التي تعني حسب قاموس المعاني "المرأة الزانية" وهي ترجمة حرفية لا تراعي مشاعر المتلقّي الذي لا تجيز له ثقافته التلقّف بمفردة كهاته وبخاصة أمام الأم في هذا المثال.

2. وورد بالفصل نفسه، التعبير الآتي "I am not an old woman, nor an old half dead megger either, you dam little slut العربية بـ: "أنا لست امرأة عجوزا ولا زنجية شمطاء نصف ميّنة، يا ساقطة يا لعينة". والأمر نفسه ينطبق على لفظة "Slut" التي وظّفها الكاتب للتعبير عن علاقة الفتاة الجنسية غير الشرعية بالرجال وتعني كلمة "Slut" حسب قاموس Collins: "A sexually promiscuous woman" فهي إذا مرادفة لكلمة "Bitch" وقد ترجمها إبراهيم جبرا إلى "ساقطة" وهي حسب قاموس المعاني "المرأة العاهرة الفاجرة" وبالتالي فقد اعتمد ترجمة حرفية حافظ فيها على التعبير في النص الأصل ولم يراعي فيها مشاعر المتلقّي وخصوصيّاته الثقافية.

كما نتناول عند هذا المستوى قضية شرف أسرة آل كمبسن، وكيف مرّغت ابنتها 'كادي' شرفها في التراب، وهو الشيء الذي اعتبره الجميع خروجاً صارخاً عن المألوف في الجنوب الأمريكي، فلم يستصغره أي من أفراد العائلة، مع الإشارة إلى اختلاف ردّات الفعل من طرف كلّ واحد منهم، فـ 'كوينتن' [راوي الفصل الثاني من الرواية] وهو الشقيق الأقرب لأخته 'كادي' وأكثرهم حبّاً لها، نجده قد تحمّل عبء الخطيئة والعار الذي حلّ بعائلته بعد أن نال أحدهم من شرف أخته، بل وتعدّى الأمر إلى أسوأ من ذلك، بعد إنجابها لابنة غير شرعية، وبالتالي نراه في جلّ الفصل الثاني الذي يرويّه وهو المهوروس بفوبيا الموت، يكافح من أجل التستر على شرف العائلة وخطيئة أخته محاولاً التأكيد للغير أنّ أخته شأنها شأن مثيلاتها من سيّدات المجتمع الجنوبي، والتي تتميّز بالمكانة الاجتماعية اللائقة، وبطبيعتها النقيّة، بل وهي رمز للأخلاق المستمدة من الديانة المسيحية المحافظة، التي تحرّم العلاقات خارج رابطة الزواج بل وتعتقد بوجود حفاظ المرأة على عذريتها إلى غاية زواجها. وعليه وبسبب هاته المعتقدات الخاصة بالجنوب الأمريكي على عكس شماله، راح 'كينتن' يقرّ بأنّه هو من نال من شرف أخته متحمّلاً كامل مسؤوليته إزاء ذلك: فقد تحدّى مغويها في أيّما موضع ودافع بلا داع عن أفعالها أمام والده. وذلك عن طريق اعترافه الزائف بأنّه سفاح المحارم وأنّه هو من انتهك شرف أخته، محاولاً الاضطلاع بواجبه كرجل جنوب أرستقراطي عبر مشاركة ذنوبه. ونلمس من الجهة الأخرى أنّ الرواية في حدّ ذاتها تلمّح لشيء من هذا القبيل، فقد أظهر لنا سرد جزء منها عن علاقة الطفولة فيما بين 'كينتن' وأخته 'كادي' القريبة جدّاً منه، وأنّه بمجرد بلوغهما سن الرشد، أخذت علاقة كينتن بأخته مساراً أو منحى جنسي. وبالتالي نجد أنّ ويليام فولكنر قد وظّف إلى حدّ ما النظريات الفرويدية للتوتر الجنسي داخل عائلة كمبسن، معتبراً إيّاها جزءاً من الثقافة الأكاديمية الشعبية في عشرينيات القرن العشرين، ويعتقد المهتمين بشأن أعماله أنّ الكاتب وظّف تلك النظريات في أعماله الأخرى، على سبيل المثال: تشارلز بون وجوديث في أبشالوم، أبشالوم! ونرسييس اوهوراسبنب وفي

الأعلام في الغبار والملجأ. ويمكن تتبّع هذا النوع من العلاقة بين Caddy و Quentin، مما يجعل اعترافه الزائف من زنا القربى تعبيراً عن خيال غير مكبوت وعقيم. ولأنّ رمزية "الصخب والعنف" مخفية بشكل عميق من خلال أسلوبها الدائر المترابط، فربما لا توجد إجابة شاملة لمثل هاته الأفكار وبخاصة تصرفات 'كينتن' إزاء شرف أخته وحقيقة علاقته بها، سيّما وأنه آل المال به إلى الانتحار برمي نفسه في نهر بالمدينة، كما أنّ عامل الزمن الذي خصّ به الكاتب الأحداث التي روتها شخصية 'كوينتن' والموافق لـ2 فيفري 1910، يبتعد تماما عن الفترة التي وقعت فيها الأحداث التي روتها الشخصيات الثلاث الأخرى من إخوته (7، 6 و8 أبريل من عام 1929)، والفارق هنا يقارب العشرين سنة، وهنا يتبادر إلى ذهن القارئ تساؤلات أخرى عن هذا التلاعب بالزمن، ومقصدية الكاتب منه، وبخاصة لما ننظر إلى طبيعة الأحداث التي وقعت مع 'كوينتن'.

#### خاتمة الورقة البحثية:

لما كانت ورقتنا البحثية هاته تصبو في أساسها إلى فحص عامل التأثير الذي تمارسه القدرات الأدبية للمترجم على الوساطة الثقافية، حال إقباله على نقل النص الأدبيّ من لغة الآخر إلى لغة الأنا، ومن ثقافة الأجنبي إلى ثقافة الذات العربية، والحال هنا قد انطبق تماما على ما قدّمناه من معطيات لهاته الدراسة من توفير مترجم كاتب شهد له عصبية من النقاد بتمكّنه من ناصية الأدب ودرايته بثقافات متعدّدة ولعلّ ثقافة الشعب الأمريكي واحدة منها، طالما أنّه عاش بالولايات المتّحدة رَدْحًا من الدهر، ناهيك عن تمكّنه من ناصية اللّغة المنقول عنها للسبب ذاته، فلا بدّ لنا أن نعود إلى عامل الوساطة الثقافية، الذي هو في الأصل مهمّة كلّ مترجم حال استقبال نصوص الآخر والتعامل معها ونقلها وإعادة كتابتها، فنخلص إلى القول بما يلي: لعلّ الكاتب المترجم جبرا إبراهيم جبرا قد جعل لنفسه حدودا واضحة ومسبقّة يحتكم إليها في نقله لرواية "الصخب

والعنف" لصاحبها ويليام فولكنر الموسومة بـ "The Sound and The Fury"، ذلك يتجلى لنا من خلال تلك الحرفية الملتصقة بالنص الأصل، والتي يلمسها كل قارئ. والحقيقة أنّ الكاتب لم يترك شيئاً في نص الإنطلاق إلّا ونقله على حاله في نص الوصول، فإن شئنا سميناها حرفيةً مطلقاً، فلم نشهد البتة أنّ الكاتب المترجم قد جعل من عامل التكيف مناصاً له ولو بقدر ضئيل، مع أنّ الرواية تعجّ بأمثلة تشير إلى عادات وممارسات تتعد في طبيعتها ومكوناتها عما يتسم به القارئ العربي وبخاصّة المسلم من عادات وتقاليد، وعند هذا المستوى وجب علينا أن نذكر بأنّ مترجمنا ليس بالمسلم فهو مسيحي الديانة أورثودوكسي المنهاج وربّما كان هذا سبباً أساساً وجلي جعل منه يتغاضى عن بعض الفروقات بين المجتمعين الأمريكي والعربي، فلم نلاحظ أي تكيف أو تدليل في تعاملته مع بعض المرجعيات والاختلافات الجوهرية في ثقافة النص الأصل، بل أبقى عليها كما هي، وهذا أمر لا شكّ فيه أنّه يُحسبُ على المترجم. فاعترافات الأخ كينتن بإقامته لعلاقة جنسية مع أخته كادي، ليعدّ اعترافاً زائفاً، لن يبرّر أبداً شرف أخته بل هو من زنا المحارم وليس من قبيل شيء آخر، ولعلّ هذا كان تعبيراً عن خيال غير مكبوت وعقيم كان يخالج أفكار ويليام فولكنر حال بناءه لشخصية كينتن كما ذكر النقاد، وربّما جعل من النظرية الفرويدية للتوتر الجنسي داخل عائلة كمبسن منطلقاً له، معتبراً إيّاها جزءاً من الثقافة الأكاديمية الشعبية في عشرينيات القرن العشرين، ولكنّ الأمر يختلف تماماً لدى القارئ العربي وبخاصّة المسلم بل ويناقضها تماماً، بل لا يمكنه مجرد التفكير فيها، فكيف أمكن ذلك إبراهيم جبرا أن يمرّر مثل هكذا اختلاف وطابوها من الطابوهات؟ ومع أنّ رمزية "الصخب والعنف" مخفية بشكل عميق من خلال أسلوبها الدائر المترابط، ومن بين تجلّيات ذلك، اللعب على عامل الزمن بحبكة لا مثيل لها، فالمتممّن لأحداث الرواية يجد أنّ الشخصيات الثلاث الأخرى جرت بطريقة مترادفة زمنياً، ما عدا الفترة التي تلت فيها شخصية كينتن أحداثها، فكان الفارق الزمني بينها واضح



قارب العشرين سنة، وهنا نعود برفقة فولكنر إلى السؤال عن حقيقة الأحداث التي جرت في حضرة كينتن، هل هي من قبيل الخيال فتصير بذلك مجرد أفكار أم أنها حدثت بالفعل فصارت وصم عار عليه خاصّة وأنّ مآل هاته الشخصية كان الانتحار لتختفي معه أسرار ما كان قد ذهب إليه من اعترافات. وربّما دلّ ذلك عن نقص في استيعاب جبرا إبراهيم جبرا لحجم الفروقات الاجتماعية والأخلاقية والإيديولوجية بين المجتمعين، ونقول هذا في ظلّ القدرات التي يتمنّع بها كاتب مترجم من شاكلته، والظاهر أنّ مترجم العمل الذي بين أيدينا استكان لمفهوم التغريب واستأنس به أيّما استئناس، فجعل منه شرعة ومنهاجا، ممّا أفضى به بطريقة آلية إلى المساس بخصوصيات الهوية الثقافية لقارئ النص الهدف.

والحقيقة أنّ النص الأصل تجده دائما يقف أو يوجد على مسافة ما، فإمّا أن يقوم المترجم بإظهار تلك المسافة أو إخفائها دون تقليص أو تمديد. إن الفكرة الشائعة التي تقول بأنّ ترجمة ما، لا يجب أن تعطي الانطباع بأنها ترجمة، لها معنيين: في الحالة الأولى، نكون أمام وهم الشفافية، الكتابة الإيديولوجية "السلبية"، ثم الترجمة الثقافية المرفوقة بتجاهلها لذاتها؛ أمّا في الحالة الثانية، فننتج نصّا أصليا بلسان الهدف متجانسا مع نص- لسان المصدر. ويمكن عموما إبراز وجود خلط بين هذين المعنيين. إذ عندما نحدد المعنى الثاني فإننا نمارس المعنى الأول في حقيقة الأمر. ويهيمن هذا الأخير لأنه ينقل الإيديولوجية المسماة المهيمنة في ممارسة اللاحق.

ربّما أدرك إبراهيم جبرا جيّدا الدور الذي أولاه ويليام فولكنر لقراء الرواية التي بين أيدينا والتي هي في الأصل من خصائص الرواية الحديثة، حيث يبتعد الكاتب عن تقديم الخبر للمتلقي، ليبريه أو بالأحرى ليشرکه في فضاء الرواية، وبذلك لم يعد المتلقي يستقبل عالما متكاملا مغلقا على نفسه، بل على النقيض إنه يحاوره، ويطلب منه أن يسهم في عملية الخلق وأن يخترع بدوره العمل الذي يقرأ، فيكون مشاركا في معطياته لخلق انسجام وتفاعل بين الفضاء المتخيل

وعالمه الذي يعايشه، وبذلك يسهم في خلق عمل أدبي ينسجم وفق تصوراته، ويتعلم في الوقت نفسه أن يخلق حياته من جديد. وهذا ما أبقى عليه مترجمنا بشكل ظاهر ومشوّق.

أخيراً، ربّما يجدر بمن يريد دراسة هاته الرواية والتوغّل فيها بطريق مكثّف أن يمعن النظر من جديد في الخيال المضمّن في هاته الرواية، ذلك أنّه من الصعوبة بمكان أن تتجلى للباحث مقصدية الكاتب وويليام فولكنر الحقيقية، فيكون باستطاعته تحليل ونقد هذا العمل، وعليه فإنني أدعو من يأتي بعدنا من باحثين أن يمعنوا النظر ويحيطوا بهاته الرواية المستعصية غاية الإحاطة لتقديم عمل أوفر حظاً وأشمل من الحالي.

## المراجع:

### باللغة العربية:

- سوزان باسنيت وأندريه ليفيفر، ترجمة محمد عناني، 'بناء الثقافات، مقالات في الترجمة الأدبية'، المركز القومي للترجمة، العدد 2305، ط1 2015.
- ناظم، ح، منتدى العلاقات العربية والدولية، الترجمة وإشكالات التعددية الثقافية، متاح على قناة يوتيوب.
- الجازي، ه، مفهوم الثقافة وخصائصها، ديسمبر 2016، متاح على الرابط التالي: [www.mawdoo3.com](http://www.mawdoo3.com)
- ابن منظور، لسان العرب، ج5.
- فينيتي، ف. *اختفاء المترجم*. لندن. لندن - نيويورك. روتليدج، 1995.
- ع. مصطفى، الكفاءة والآداء عند تشومسكي، شبكة الفصحح، 07-08-2008، متاح على الرابط: <http://www.alfaseeh.net>
- دو بوغراند. ر. "مفهوم المعادلة في علاقتها بالترجمة"، في عوامل نظرية الترجمة الشعرية. نيثيرلاند. أسين، 1978.

### بالفرنسية والإنجليزية:

- Jean Caune, « La médiation culturelle : une construction du lien social », *l'Observatoire des Politiques Culturelles, Université Stendhal de Grenoble*.
- MESCHONNIC Henri : Poétique du traduire, Verdier, 1993.
- Oxford, University press, 2018, sur le site web : <https://en.oxforddictionaries.com>
- Dictionnaire *Linternaute*, sur le siteweb : <https://www.linternaute.fr>

### الهوامش:

1- أبين منظور، لسان العرب، ج5، ص3546

2- Oxford, University press, 2018, sur le siteweb  
:https://en.oxforddictionaries.com

3 - سنعمل على التطرّق لهذا العنصر بتصرّف اعتمادا على ما جاء بمقال د.مصطفى عاشق، بعنوان "الكفاءة والأداء عند تشومسكي"، شبكة الفصحح، 22-09-2011، والمتاح على الرابط: <http://www.alfaseeh.net>

4 - هايل الجازي، مفهوم الثقافة وخصائصها، ديسمبر 2016، متاح على الرابط التالي:  
[www.mawdoo3.com](http://www.mawdoo3.com)

5- MESCHONNIC Henri : Poétique du traduire, Verdier, 1993, p83.

6- ترجمتنا: سنتبع كل قول أو مفهوم مكتوب بغير العربية بترجمة من طرفنا.

7- دو بوغراند. ر. **مفهوم المعادلة في علاقتها بالترجمة**، في عوامل نظرية الترجمة الشعرية. نيثيرلاند. أسين، 1978، ص 98.

8- المرجع السابق، نفسه

9- لاورنس، فينييتي. **اختفاء المترجم**. لندن. لندن- نيويورك. روتليدج، 1995، ص 19.

10- المرجع السابق، نفسه.

11- Dictionnaire *Linternaute*, sur le siteweb : <https://www.linternaute.fr>

12- Jean Caune, « **La médiation culturelle: une construction du lien social** », *l'Observatoire des Politiques Culturelles, Université Stendhal de Grenoble*.

13 - نستعرض هذا العنصر بتصرّف عن المقال المنجز من طرف د.حسن ناظم، **الترجمة وإشكالات التعددية الثقافية**، منتدى العلاقات العربية والدولية، متاح على قناة يوتيوب.

14 - Constructing cultures : essays on Literary translation " تأليف سوزان باسنيت وأندريه ليفيفر، ترجمة محمد عناني، **بناء الثقافات، مقالات في الترجمة الأدبية**، المركز القومي للترجمة، العدد 2305، ط1 2015.

12 - المرجع السابق، نفسه.

16 - المرجع نفسه.

17- **أدب أمريكي**، متاح على الموقع التالي: <https://www.marefa.org>